جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: الأدب الجزائري السّنة: الثالثة ليسانس (لسانيات عامة)
أستاذة المقياس: لبنى بوخناف الفوج: 1،3

الاتّجاه النّضالي الثّوري

بدأ الشّعر الثّوري التّحرّري يحتلّ السّاحة الأدبية بعد أحداث الثّامن ماي 1945، وزاد عنفوانه مع بداية الثّورة المسلّحة، فقد شكّلت الثّورة قطيعة مع مختلف أشكال التّعبير والتّفكير قبلها، وأحدثت تغيّرات علة مختلف المستويات الاجتماعية والسّياسية والفكرية، والملاحظ أنّ أغلب شعراء النّهضة آثروا الصّمت بعد اندلاعها، ما جعل الكثير من النّقاد يستغربون من هذه الظّاهرة، وقد رأى فيها **محمد ناصر: «اختلافا بين أجيال الشّعراء الجزائريين، فجيل النّهضة الذي قام بواجب التّربية والتّوعية استفرغ كلّ طاقاته وبذل كلّ جهوده، فلمّا تحقّق الهدف (اندلاع الثّورة)، آثر هذا الجيل تسليم مشعل الشّعر لجيل جديد هو أقدرُ على التّعبير عن روح الثّورة، ولعلّ في صمت محمد العيد وأحمد سحنون والأخضر السّائحي والهادي السّنوسي والمين العمودي والرّبيع بوشامة وعبد الكريم العقون خير دليل على ما نذهب إليه».**

• سمات النّص الشّعري الثّوري الجزائري:

- تجاوز الطّروحات الفنّية والفكرية للنّص الشّعري التّقليدي، فهو نصّ يرفض المهادنة، ويتجاوز البكائيات إلى الدّعوة للثّورة والانتقام والتّمرّد.
- التّميّز بمعجم خاص بالثّورة: السّلاح، القنابل، الموت، القتل، الحرب، الرّصاص، الجهاد، الاستشهاد...
- غلبة اليقين بالنّصر؛ حيث يتنبّأ شعراء هذا الاتّجاه بالنّصر والاستقلال للجزائر.
- غلبة النّزعة الوطنية والقومية مع بداية ظهور المدّ اليساري (الفكر الاشتراكي) الذي تبنّى شعراء هذا الاتّجاه.

أنموذج تطبيقي

جسّد الشاعر الجزائري **مفدي زكريا** معنى الالتزام في أبعد مستوياته، فالالتزام قبل كل شيء اختيار شخصي، دونما ضغط خارجي، فالأديب الملتزم يختار موضوعه وطريقة تعبيره بحرية كاملة، لأنهما يوافقان مذهبه في الحياة، ويلبيان نزعة عميقة في نفسه، ومسيرة الرجل تشهد بذلك، فمفهوم الالتزام عنده تؤطره الفكرة الدينية التي نراها حاضرة في جل مواقفه، وهذا راجع إلى تمكن الدين من قلب الرجل، وإخلاصه له وتمسكه بالأخلاق الفاضلة، فالإسلام عقيدة وعمل. وهي ثقافة جيله التي طبعها الدين بطابعه، بدأت بحفظ القرآن الكريم، وما يتصل به من علوم في مسقط رأسه، ثم دراسته بجامع الزيتونة، وقاموسه الشعري ثري جدا بالألفاظ القرآنية التي تعد عنصرا جوهريا وأصيلا، ومكونا بنيويا، يدخل في تشكيل أسلوب الشاعر :

شربت العقيدة حتى الثمالة فأسلمت وجـــــهي لرب الجلاله
ولولا الوفاء لإســـلامنا لما قرر الشـــــــــــــعب منالـه
ولولا استقامة أخلاقنا لما أخلص الشعب يوما نضاله
هو الدين يغمر أرواحنا بنور اليقيـــــــــن ويرسي عداله
إذا الشعب أخلف عهد الإلـ ه وخان الأمـــــانه فارقب زواله

يتحدث الشاعر عن أحمد زبانا في موقف بطولي نادر، يشبهه بعيسى روح الله وكلمته وموسى كليم الله، وبالروح الأمين جبريل أمين الوحي، وبمحمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والرسل، فهو يستحضر شخصيات دينية بارزة تحملت أعباء سالة، وتعرضوا لأهوال جمة، لكن قوة الإيمان والصبر والإخلاص، مكنتهم من تبليغ ما أمروا به، والشاعر يفعل ذلك حتى يضفي سموا وقدسية لما يقوم به هذا البطل، فهي رموز دينية تضفي بعدا روحيا، ويغدي المعاني الثورية ويذكي أوارها :

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا

حالما كالكليم كلمه المجد فشد الحبال يبغي الصعودا

وتسامي كالروح في ليلة القدر سلاما يشع في الكون عيدا

حتى وهو يتحدث عن الزلزال الذي أصاب الأصنام(الشلف حاليا) في العاشر من أكتوبر سنة ثمانين وتسعمائة وألف (1980)، على الساعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة، وبلغت درجته : 7.3 على سلم ريشتر. وكان زلزالا قويا، حيث دمر ثمانين بالمائة (80%) من المدينة، والحق بها دمارا وخرابا، وكثير من الضحايا(10000) عشرة آلاف ضحية، فعزاه إلى الإثم، وبما كسبت أيديهم، كما جاء في محكم التنزيل : (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه خاصنا ومنهم من أخذته ومنهم من حسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (العنكبوت، الآية : 40).: ويقول عز من قائل : (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى، الآية : 30) فهو يعبر عن ذلك، مستوحي ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم: هو الإثم زلزل زلزالها فزلزلت الأرض زلزالها وحملها الناس أثقالهم فأخرجت الأرض أثقالها وفي حديثه عن فلسطين، أم القضايا العربية الإسلامية، القضية التي شغلت المسلمين وغير المسلمين، ويدعوهم إلى الوحدة، والتمسك بحبلها، فالذئب يأكل من الغنم، القاسية كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم. ويحث على استرجاعها من أيدي الغاصبين، وهذا يتوقف على درجة إيمانهم وإخلاصهم لربهم ولقضيتهم العادلة والنصر آت لا محالة، لقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (محمد، الآية : 7). لهذا نجد الشاعر مطمئنا كل الاطمئنان إلى ما يدعو إليه. فالتناص الديني(قرآنا وسنة)، حاضر في النص الشعري بشكل واضح، ومهارة الشاعر في توظيفها في سياق ثوري، ويعطيه أبعادا دلالية وجمالية:

محمد قد أبقى لنـــــــا عبرة من الذئب والغنم القاصيه

فإن تنصروا الله ينصركم وينجـــــــــز أمانيكم الغاليه

ولن يخـــــلف الله ميعاده ولا ريب... ساعـــتنا آتيه

وقد علق محمد ناصر على حضور هذا المصدر (**الثقافة الدينية**) : فقد حددت الثقافة السلفية منذ البداية الإطار الذي كان الشعراء المحافظون يضعون داخله صورهم الشعرية، هذا الإطار الذي لا يخرج عن التراث في مصادره المعروفة، قرآنا كريما، وأحاديث شريفة، وأدبا عربيا قديما، بمفهومه الواسع شعرا وقصصا، وأمثالاء وتاريخا إسلاميا بعصوره المختلفة القديمة والحديثة، لا شك أن رجلا متشبعا بمثل هذه الثقافة، إضافة إلى تكوينه السياسي، فقد انخرط في أحزاب سياسية، كحزب نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب الجزائري، ثم حركة الانتصار للحريات الديموقراطية، وتبنيه لأفكار جمعية العلماء المسلمين إضافة للواقع المرير الذي عايشه جراء الاستعمار، فسيجد نفسه حتما منساقا بعفوية وطواعية واقتناع نحو العمل الثوري، ونشدان الحرية، فالالتزام عند الشاعر هو استجابة طبيعية لتحرير الوطن، والوقوف إلى جانب الشعب المضطهد المحروم من حقوقه المغتصبة، من طرف عدو يخالفنا في الدين والثقافة واللغة. وقد ترجم الشاعر أفكاره، وآماله، وتصوراته ومواقفه، بل نقول صخر فنه، فأبدع قصائد

تحمل روحا ثورية قوية، تكاد تنطق بكل هذا، وبكل حدة وشدة. يغذيها إيمان راسخ، رسوخ الجبال الراسيات، لقد ولد الإنسان حرا، وإنه لا يخضع إلا لإرادة خالقه.

- **مفدي زكريا والثورة** : آمن الشاعر بقضيته، وأخلص لها في صدق وإخلاص. وضحّى من أجلها واستصغر كل شيء في سبيلها، فقد ذاق عذاب السجن والتعذيب، وعاني آلام التضييق والمراقبة المستمرة. والثورة عند شاعرنا من خلال إبداعاته الشعرية. تعني التغيير والرفض وقوة الإرادة، والتحدي والخروج من حالة التخلف والضعف، فقد سكنته روح الثورة وتلبس بهافأصبحت هاجسه، ومتنفسه، وأمله وطموحه، بل عقيدته الراسخة التي أسس تصوره ووعيه عليها. فكان شعره ينطق بكل قوة عن رفضه للاستعمار، والوقوف في وجهه بشجاعة وكبرياء. وهو مستعد للتضحية في سبيلها، وبذل الغالي والنفيس. فقد عبر عن حبه لوطنه واعتزازه بالثورة، وأنهما المعين الذي يستقي منه المعاني الشعرية القوية الدفاقة اللتان خلدتا اسمه وشعره، ومنحته عزة وشرفا:

بلادي وقفت لذكراك شعري فخلد مجدك في الكون ذكري

وألهمتني فصـــدعت الدنا بإلـــــــــــياذتي في اعتزاز وفخر

وكنـــــت أوقع في الشاهقا ت خطى الثائرين بالحان صدري

فخلد قدس اللهيب بياني وأذكـــــى لهـــــــــيب الجزائر فكري

ويقول معبرا عن عظمة وجلال الجزائر، وأنها ملهمته، فهي تبدو له أعظم المعجزات، وحجة الله في الكائنات، لأنها قدمت للإنسانية صورا من البطولات النادرة التي تجعل المستحيل ممكنا، ومن الحزن سهلا، لأنها تتغذى من القيم الإنسانية. فصوت مفدي زكريا يجلجل بصخب عنيف، وقوة تدفق مشاعره، تصاحبها نبرة حادة متأججة فائضة بعدها ينسجم الشاعر مع الصور التي يوزعها في ثنايا النص، فهو الحدث ويتمازج مع القضية حتى يصير جزء منها، أو تصبح هي جزء منه، فهو يترنم بكلمات صاخبة كلها شموخ وأنفة : **جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات**

ويا للبطولات تغزو الدنا وتلهـــــمنا القيم الخالدات

وأهوى على قدميها الزمان فأهوى على قدميها الطغاة

ويقول في موضع آخر، يؤكد على أن الجزائر هي المجد في أروع صوره، وهذا بعد استقراء التراث الديني: **وأرسلت شعري بسوق الخطي بساح الفدا يوم نادي المنادي**

أوقفت ركـــــــب الزمان طويلا أسائـــــــله عن ثمود... وعاد

عن قصة المجد عن عهد نوح وهل إرم هي ذات العمـــــــاد؟

فأقســـــــــم هذا الزمان يمينا وقـــــــال الجزائر دون عناد

الملاحظ أن الشاعر لا يفصل بين حبه لوطنه، واعتزازه بالثورة وبطولات شعبها، كل لا يقبل الانفصال، بلد عظيم، شعب عظيم، ثورة عظيمة، معادلة محكمة العناصر، تامة الخلق، بلد أبدعه الله وجعله ينافس جنات الخلد سحرا وجمالا. شعب تشرب من العقيدة، فأخلص في إيمانه، وأعلن ثقته في ربه، فلا يخشى إلا الله. وثورة مباركة ضد الطغيان والظلم، غايتها تحرير الإنسان، وإحياء القيم الإنسانية، ثورة أخرجت الإنسان من ضيق الظلم والاستبداد إلى سعة الحرية والسلام:

ويا ثورة حار فيها الزمان وفي شعبها الهادئ الثائر

ويقول في جلال وجمال الجزائر، وكيف يربط هذا الأمر بصحة العقيدة:

فلولا جمالك ما صح ديني وما أن عرفت الطريق لربي

لقد ضرب مفدي زكريا أروع آيات الحب والإخلاص للوطن، فهو جدير بأن يحب، وجدير بأن يدافع عنه، والكل يهون دونه، فكانت أفكاره ثورية إلى أبعد الحدود، فكان شعره صدى لهذه الثورية الهادرة، في الألفاظ والمعاني، والصور، والجرس الموسيقي القوي، والكل يتجاوب مع الروح الثورية التي تسكن الشاعر ويتناغم معها. ويحرص الشاعر على تأكيد أن للحرية ثمن غال، وأن الشعب استرخص كل غال في سبيل حريته، وقد استدعى شخصيات ومعارك من التاريخ الإسلامي، ليؤكد على أنه سلسلة من الأمجاد والبطولات: **وقالت جزائرنا الغالية هو الصـــدق حقق أماليه**

ومن ثم شعــي وأكباده إلى النصر قدمت قربانيه

وجندت من خالد بن الولي د وسعد بن وقاس أبطاليه

وجددت حطين في وطني وخلدت أمجـــــاد أنطاكيه

ولا يخفى علينا أن البعد الديني كما ألمعنا سابقا، حاضرا بشكل بارز في ألفاظه، ومعانيه، وصوره على حد سواء، والشواهد كثيرة وقريبة مبثوثة في دوانينه.

وعليه نستطيع أن نقول أن مفدي زكريا كان ملتزما بالقضية مخلصا لها، في أبعادها المختلفة : **بعدها الديني**، لأن الإنسان ولد حرا، ويأبي الخضوع إلا لخالقه. وفي **بعدها الوطني**، لأن الإنسان مجبول على حب الوطن، فهو من الإيمان. وفي **البعد السياسي:** لأن الإنسان مطالب بدفع الظلم والجور وتكميم الأفواه، ويسعى لأن يكون حرا سيدا في وطنه، وقد كان هذا وإلى أبعد الحدود. وشعره ومواقفة تقف شاهدا على ذلك، أحب بلاده وهام بها، وآمن بالثورة فبذل فيها الغالي والنفيس، وصاغ في كل ذلك شعرا، يفصح عن تلك المعاني والمشاعر والمواقف، بكل قوة وصدق. وقد استطاعت الحياة الأدبية عبر مسيرتها الطويلة، أن تحدد المواقف البطولية لأولئك الأدباء، الذين التزموا بقضايا أممهم، وقدموا في ذلك أعز ما يملكون، وقد ظل نتاج هؤلاء الأدباء يرسم الطموح، ويحدد أمارات الأمل الذي كانت ترسمه أممهم، وبقيت النظرة السامية إليهم، وإلى انتاجهم تحتل المكانة المرموقة، ولازال صوت الشاعر مدويا، يحمل صخب مشاعره، وصخب كلماته، التي أعطت الثورة الجزائرية قوة وبعدا إنسانيا، تجاوبت معه الشعوب الحرة، التي تؤمن بالقيم الإنسانية وتنافح عنها. فالتزام مفدي زكريا يختلف عن التزام الذي دعت إلى المذاهب الاشتراكية، لأنه يقف على منطلقات عقدية وفكرية وتاريخية راسخة، ويسعى إلى البحث عن حياة تستجيب لطموحاته وآماله.